الكنيسة الجنوبية في دير سيتا

وداد خوري
المديرية العامة للآثار والمتاحف، سورية

دير سيتا قرية تقع على الطرق التي تصل سهل سمرين (إدلب) بالهضاب الداخلية لجبل باريشا، وثمة طريق تربطها مباشرة بمميز. وتقود شبكة الطرق هذه أيضاً باتجاه قلب لوزة ونحو مواقع أخرى في جبل الأعلى.

وهي قرية تم تأسيسها منذ القرن الثاني، وتقوم بشكل أساسي على الزراعة التي نشطها وجود العديد من الاتصالات الطرقية بها.

ومع دخول المسيحية إليها نشهد نهضة دينية هامة أهم مظاهرها بناء العديد من الكنائس في الموقع: الدير والكنيسة الشرقية، والكنيسة الغربية ذات مصلى الشهيد، والكنيسة الكبيرة مع بيت العماد. أما الكنيسة الجنوبية التي نقدمها هنا فهي آخر الكنائس المكتشفة، وهي تشتمل على عناصر جديدة أو قليلة الانتشار بالنسبة للموروث التقليدي من المحتوى المعماري للمدن الميتة.

إن المساحة المحدودة والضيقة للكنيسة وموضعها، وغياب تزيين الواجهات فيها، والحجوم القصيرة والثخينة للأعمدة يذكرنا بكنائس القرن الرابع. ومع ذلك، فإن غياب نماذج من التيجان ذات الصف من الآوراق من النمط الذي يمكن مقارنته بتيجان هذه الكنيسة يمنعنا من طرح تأريخ محدد. أما التاجان المميزان بصفين من الأوراق فيرجح أنهما من القرن الخامس. ويمكن للخبز المبارك أن يعطينا مؤشراً حول فترة التجديد، أكانت في نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس. أما القواعد المثمنة والزخرفة ذات الصليب من النمط «الهندسي» في جرن العماد، فترجعنا إلى الفئة الفنية والمعمارية من القرن السادس.